العثمانية · وكان اول من وصل الى القدس توفيق بك الذي كان امينا وصارما في تطبيق نصوص القانون · (٦)

وفي ٤ شباط (فبراير) عام ١٨٩٨ اجتمع هرتزل بالسفير العثماني في المانيا ، احمد توفيق ، لبذل وساطته من اجل تحقيق المشروع الصهيوني مقابل القروض المالية اليهودية ، فأخبره السفير العثماني صعوبة امتلاك فلسطين ، واشار عليه بامكانية توطين اليهود في مناطق اخرى من آسية الصغرى ، شرط ان يكون اليهود كغيرهم من المواطنين العثمانيين غير مستقلين عن الدولة · وانتهى الاجتماع برفض هرتزل لهذا العرض ·

وبعد نشر الآراء الصهيونية والاوروبية حول استعمار يهودي لفلسطين ، اشارت صحيفة « المقتطف » عام ١٨٩٨ الى معارضة الدولة العثمانية للهجرة اليهودية الى فلسطين ، واوضحت ان « ··· نقل اليهود الى فلسطين وابتياع الارض من الحكومة ومن اصحابها اصعب من نقلهم الى الارجنتين · ولذلك نستبعد نجاح الصهيونيين ، ونحسب ان السعي لدى حكومات روسيا ورومانيا والبلغار في اصلاح شأن اليهود فيها اقرب منالا ، لا سيما ان طلب كفالة الدول الاوروبية وحمايتهن [حمايتها] لليهود الذين يراد نقلهم الى فلسطين عقبة كبيرة في سبيل هذا الغرض لان الدولة العثمانية لا ترضى به » · (٧) وتكرس ذلك عمليا عندما اصدر السلطان عبد الحميد الثاني قوانين جديدة ، (٨) في حزيران (يونيه) عام ١٨٩٨ منع فيها اليهود الاجانب من دخول القدس ، على ان هذه القوانين لقيت معارضة من القنصليات الاجنبية ، فأبرق متصرف القدس الى الباب العالي يطلب منه تعليمات دقيقة ومحددة حول القوانين الجديدة · (٩) فجاء الرد بعد شهرين وبالذات في ٢٥ آب (اغسطس) عام ١٨٩٨ ــ اي قبل انعقاد المؤتمر الصهيوني الثاني بثلاثة ايام ــ يطلب الصدر الاعظم تنفيذ قوانين الهجرة الخاصة باليهود · وقد اكد القنصل البريطاني ديكسون (Dickson) هذا الواقع فذكر في تقرير بأن متصرف القدس قد بعث له برسالة مع سكرتيره يعلمه فيها « انه تلقى تعليمات من الباب العالي لتطبيق الانظمة المرعية لدخول اليهود الاجانب الى القدس ــ كل اليهود الاجانب ــ دون تمييز في جنسياتهم ، وبالتالي ان تطبق هذه الانظمة على اليهود البريطانيين ، وان الانظمة المذكورة تنص على انه لا يسمح ليهودي اجنبي بدخول فلسطين الا بعد تعهده بدفع التأمين وبمغادرة البلاد خلال ثلاثين يوما · (١٠) ولقد بلغ تشدد السلطات العثمانية في تنفيذ هذه القوانين انها منعت نائب القنصل البريطاني في انطاكية من الدخول ما لم يقدم التعهد المطلوب باعتباره يهوديا · (١١)

وفي نفس الفترة وصل تقرير من السفارة البريطانية في القسطنطينية الى ديكسون ردا على رسالته حول موقف الدولة